Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢)

« مرحلة البعث والإحياء »

أما مرحلة البَعْثِ والإحياء فمن أشهر شعرائها بشار بن برد ، وأبو الشيص الخزاعي ، وأبو نواس ، فقد وصف كل منهم ارتحاله إلى الممدوح في السفينة بالنهر ، أو خروج ممدوحه فيها للنزهة ، وصفاً سادت فيه التشبيهات والصور البدوية ، التي تتضح في نعتهم السفن بالأوصاف التي تُنْعَتُ بها الإبل والنوق والخيل ، وفي تشبيههم السفينة بالناقة ، أو موازنتهم بينهما ، أو تشبيههم لسرعتها بسرعة النعام ، أو تشبيههم لصوت الأمواج وهي تصطدم بها بصوت الرياح التي تنخرق بين الوِهادِ والكثبان وتزمجر فيها . والراجح أن هذه الظاهرة تعود إلى ثلاثة أسباب : أولها أنهم كانوا يحاكون محاولات الشعراء السابقين ، ويُحْتَذُونَ على النماذج القديمة الجاهلية والأموية . وثانيها أنهم لم يكونوا يجدون في اللغة ألفاظاً ومصطلحات كثيرةً محددةً المعاني والدلالات للسفينة والنهر والبحر . وثالثها أن وَصْفَ الصحراء كان له سلطانٌ قويٌ على أخيلتهم ، كما كانوا يحفظون من ألفاظه وتراكيبه وصوره شيئاً كثيراً ، في حين كانوا لا يعرفون من أوصاف السفينة والنهر والبحر إلاّ شيئاً قليلاً نادراً . فكانوا لذلك كلما أعوزتهم الحاجة ، ولم تَقْوَ ملكاتهم على الخَلْقِ والإبـداع ، وهم يصفون السفينة . يعودون إلى « المعجم الصحراوي » ويستعيرون من ألفاظه وصوره .

ونحن نسوق كل ما عثرنا عليه من محاولاتهم — على تكرار بعضها لبعضٍ في المعاني والصور — لأنها تنطق بخصائص وصفهم للرحلة النهرية . وأول ما نختاره منها قول بشار بن برد من قصيدته البائية التي مدح فيها يزيد بن عمر